ببيوغرافيا

الثعلب والقنفذ!

الولايات المتحدة وسورية: الحرب الهجينة، الأكراد، السياسات الإقليمية، العلاقات المستحيلة

د. عقيل محفوض

عرض كتاب د. ندى ملكاني

تصـــدر عن مركـز رواق بـــغداد للسياســـات العـــامة
Published by Rewaq Baghdad Center for Public Policy

17 تشرين الثاني 2024

مِداد مشروعٌ بحثي يعنى بتقديم اوراق وافكار دقيقة عبر سلاسل، وحلقات متكاملة، تحاول ان تغطي الطيف الواسع من المشكلات التي تواجه قطاعات الدولة العراقية بكل اركانها، ويعتمد بشكل اساس على اوراق السياسات العامة، والسيمنار، والحوارات المعمقة، بين مختلف الاطراف، من صناع القرار في الحكومة التنفيذية، الى التشريعين في مجلس النواب، فضلا عن الباحثين والخبراء في الجامعات ومؤسسات البحث العراقية، وهو احد مشاريع مركز رواق بغداد للسياسات العامة، و يعد هذا المشروع امتداداً للجهد الذي بذل على مدى خمس سنوات من عمر المركز الذي تأسس في العام 2019، اذ قدم خلال تلك السنوات عشرات الدراسات والمشاريع البحثية والأوراق التي نشرت في الموقع الإليكتروني لمركز رواق بغداد.

رئيس المركز عباس العنبوري

مدير المشروع انور المؤمن

تصميم اية الحكيم

تعود حقوق النشر الى مشروع مداد البحثي والمؤسسة المالكة له، وبالإمكان الاستفادة والاقتباس الجزئي من الاعمال البحثية مع الاشارة اليها، بالنماذج العلمية المعتمدة في كتابة المصادر، كما تجدر الاشارة الى انه لا يجوز استعمال هذه الدراسات او اعادة نشرها بأي شكل من الاشكال دون الحصول على اذن مسبق من المركز بالنسبة للمؤلف او الباحثين الاخرين.

وفيما يتعلق بأخلاء المسؤولية القانونية تجاه الاشخاص الطبيعيين او المعنويين فضلا عن الاحداث والقضايا، فأن مشروع مداد والمؤسسة المالكة له (مركز رواق بغداد) لا يتبنى بالضرورة، الاراء الواردة في هذه الدراسات التي تحمل اسماء مؤلفيها، ولا تعكس وجهة نظر فريق العمل للمركز او مجلس ادارته.

يمكن تحميل هذه الورقة مجاناً من الموقع الايكتروني www.rewaqnaghdad.org

رقم الهاتف: 07845592793

البريد الالكتروني info@rewaqbaghdad.org :

صفحة الفيس بوك: مركز رواق بغداد للسياسات العامّة

صفحة الإنستغرام RewaqBaghdad :

قناة اليوتيوبRewaq Baghdad :

الثعلب والقنفذ!

الولايات المتحدة وسورية: الحرب الهجينة، الأكراد، السياسات الإقليمية، العلاقات المستحيلة

د. عقيل محفوض

عرض كتاب د. ندى ملكاني

قليلة هي الدراسات التي تناولت الحرب في سورية متحرية الدقة في الوصف، والأدوات المنهجية في التحليل، وسلامة المنطق المعتمد على الفصل قدر الإمكان بين الذات والموضوع لتكوين صورة واضحة في ذهن القارئ واحترام ذوقه.

تأتي دراسة الثعلب والقنفذ ضمن مجموعة من هذه الدراسات القليلة ولتضيف إليها ذلك الحس الأدبي بدءا من تسمية الكتاب بهذا الاسم، مرورا باستخدام استعارات عرفها الفكر الإغريقي والروماني وظفت في مجال السياسة.

يرى الكاتب الدكتور عقيل محفوض أن الحدث السوري يواصل تأكيده طابعه الرئيس وهو صعوبة الإمساك بما يجري، إنه حدث لا يقيني ويصعب القبض عليه أو الإمساك به تحليلا. ولكن يبدو أن المؤلف قد ساعدنا إلى حد بعيد في القبض على الخطوط العريضة حيال الحرب في سورية باستعارة: الثعلب والقنفذ!

لست معتادة في مراجعتي لأي كتاب أقرأه أن يكون هدفي تلخيصه، ولا استعراض فصوله، لأن ذلك بالإمكان لأي قارئ أن يقوم به دون الاطلاع على مراجعتي. لكني عادة ما أتوخى في قراءتي لأي كتاب الوقوف على العميق في مضمونه، والاستعانة باقتباسات لأدرس فكر الكاتب والرسالة التي أراد إيصالها. لا يخلو هذا الأمر من المتعة والمشقة في آن معا.

ولا يخلو أيضا من مخاطر الاختزالية، لأن الإنسان عادة يلفته ما يعجبه بناء على ذوقه وليس بالضرورة بناء على الأهمية العلمية لما يقرأ. لكني مع ذلك سأحاول الجمع بين ذائقتي في اختيار ما أحلل من أفكار وبين الأهمية العلمية التي قد يلاحظها من يقرأ مراجعتي لهذا الكتاب.

الثعلب ذكي، له طرق عديدة للوصول إلى فريسته، تتعدد خياراته الهجومية للوصول إلى ضحيته. إذا كانت الفريسة قنفذا يحتار وهو ينقض عليها، لأن في كل المناورات التي يقوم بها لا يصل إلى حد التهامه بل يرتد خائبا، عالقا بأنفه أشواك مؤذية. بالرغم من أنه ليس لدى القنفذ سوى أشواكه إلا أنها تبدو ناجعة وخيارا أحاديا يضمن حياة القنفذ ويقلل من قيمة الخيارات اللا متناهية أمام الثعلب.

استعار الكاتب عقيل محفوض من الناقد والكاتب البريطاني أشعيا برلين وصف الثعلب والقنفذ ليحلل العلاقة بين الولايات المتحدة وسورية. حيث يرى أن بين الطرفين ديناميات صراع مركبة، لدى أحدهما طرق عديدة للاستهداف، فيما لدى الآخر طريقة وحيدة ناجعة "المقاومة"، وهذا ينطبق على سياسات الولايات المتحدة إزاء سورية.

هذا الثعلب يغير خطابه من آن لآخر ولكن الهدف واحد هو الانقضاض على القنفذ وتجريده من قدرته الحديدية على المقاومة. في قراءتي للكتاب يتضح أن الكاتب أورد هدفين او قل خطين منفصلين

لسياسات الولايات المتحددة الأمريكية حيال سورية مهما تغير الرؤساء الأمريكيون أو غيروا لهجة خطابهم حيال دمشق:

أولا: الهدف العميق للولايات المتحدة هو إبقاء سورية في حالة أزمة وإعاقة عودتها إلى ما كانت عليه قبل الحرب، قوة ومكانة ودورا، ثم إعاقة إيران وكسر محور المقاومة. وهذا يتطلب مد تركيا بعوامل قوة إضافية لتكون قادرة على احتواء سياسة إيران ورهاناتها الكبرى في سورية والعراق وغرب آسيا.

ثانيا: أي تغيير أو تعديل في تكتيكات هجوم الثعلب على القنفذ لن يكون بعيدا عن رهانات وأولويات طرف ثالث أي إسرائيل.

بالمقابل، لدى القنفذ ثابت وهو المقاومة. لا تجب الاستهانة أبدا- كما يحاول الدكتور عقيل أن يوضح- بهذا الثابت بالرغم من عدم تنوع الخيارات أمام القنفذ. إذ ثمة تقديرات حول الأسباب التي تمكن أحد الأطراف من الانتصار في الحرب مع اختلاف الإمكانيات والموارد وهو "روح الجماعة" وثقتها بنفسها وإيمانها بالانتصار، فالمسألة – كما يذكر المؤلف- ليست ميزانا للموارد والإمكانات فقط، ثمة ما يتعلق بانتماء الفاعل وإيمانه أنه على حق.

تغيرت سياسات الثعلب منذ 2003 وصولا لليوم ولكن ما تسعى إليه هو إعاقة الدولة السورية، بالمقابل سورية ما زالت تواجه الأمريكي بأشواكها ويبدو أن الأمر ناجعا وأن هذه الأشواك داخلة في حسابات ميزان القوى! كيف ذلك؟

تحولت العلاقات من منظور واشنطن من سياسات تغيير سلوك النظام التي برزت في أعقاب حرب الاحتلال الأمريكي للعراق في 2003 إلى سياسات تغيير النظام أعقاب حرب تموز في 2006، ولكنها لم تتحول للانخراط المباشر والتام في العملية وأرادت أن تفعل ذلك عن طريق الحرب الهجينة.

لم يكن التدخل الأمريكي في الأزمة السورية بالسلاح فقط، بل بالصورة والتقنية والرمزية ووسائط الإعلام والتواصل والحملات الإعلامية والحرب النفسية. إن الحرب الهجينة أقل مخاطرة وتكلفة بالتركيز على سياسات الخنق الاقتصادي، وتعطيل مسارات الحل، وممارسة الضغط لمنع الدولة وحلفائها من تحويل المكاسب العسكرية إلى مكاسب سياسية وتعظيم التكاليف والتبعات لاستمرار السياسات المناهضة للولايات المتحدة.

يستخدم المؤلف استعارة كعب آخيل الإغريقية ببراعة تحليلية ليصف سلوك الثعلب حيال القنفذ وهو قد سأم على ما يبدو من قوة القنفذ في الصمود فآن له أن يستهدفه في أضعف مكامن وجوده..... استخدام الكيماوي

كما عمد إلى استهدافه من النقطة التي تتمفصل فيها أو يلتقي حولها مختلف فواعل الأزمة، حيث يكون كسر الحلقة هو الخطة الحاسمة في تغيير المشهد كله تقريبا. إذ يكون المستهدف، روسيا لجهة خلخلة مداركها حول مصادر التهديد الأعلى، إيران لجهة كسر حلف المقاومة، حزب الله لجهة تضييق دائرة الاستهداف ليس لحليفه الرئيس وهو الجيش السوري، بل تزيد دائرة الاستهداف والتضييق على الحزب وفواعله

المؤيدين له في الإقليم والعالم. وسورية لجهة استهداف القوة الجوية، ومحاولة هز ثقة السوريين بحليفهم الروسي.

إذن بالرغم من اختلاف استراتيجيات الهجوم، فإن الموقف الأمريكي ضد سورية عميق ومتجذر، ولم يتغير كثيرا بتغير الرؤساء الأمريكيين، وهكذا فإن العداء لسورية هو الأصل والثابت والحقيقي وماعدا ذلك فهو متغير

كيف ترد سورية؟ يرى المؤلف أن استراتيجية المواجهة لدى القنفذ هي حرب هجينة معكوسة بالإصرار على حق المقاومة وإخراج الأمريكي وغيره من البلاد، وذلك في سياق علاقات تحالف إقليمية ودولية مركبة ومعقدة، وإعادة قراءة الحرب بدءا من الأسباب العميقة التي جعلتها ممكنة والقابلية الاجتماعية والسياسية والثقافية والقيمية التي جعلت التدخل ممكنا، وانطلاقا من بداهة المقاومة وحق تدبير السبل الممكنة على هذا الصعيد.

ينطلق المؤلف منذ بداية كتابه من فكرة وجود قابلية محلية جعلت الوجود الأمريكي ممكنا. فإذا كان المطلوب إخراج الأمريكي من شرق الفرات، فهذا يقتضي التعامل مع الأسباب الداخلية التي جعلت وجوده وتدخله هناك ممكنا، ما يعني تفكيك تلك القابلية، واحتواء أي عوامل أو فواعل يمكن أن تتلقى الأمريكي وتطالب ببقائه.

إن إعادة بناء عقد اجتماعي في سورية هي الاستجابة الأمثل والأقرب والأفضل، وعندما لا يعود ثمة من يعول على الأمريكي، وحينما تتم إعادة بناء الفكرة الوطنية والروح الوطنية سوف يخرج الأمريكي ولن يتمكن من البقاء في أي منطقة في سورية.

يعالج الكاتب الملف الكردي من هذه النقطة بالذات، فهو يرى أن دمشق لم تنظر إلى الكرد بوصفهم مشكلة يجب وضعها على أجندة السياسات العامة أو في أولويات الأمن الوطني، وهذا بحد ذاته أحد مصادر المشكلة برأي المؤلف.

صحيح أن التوافق بين دمشق وكردها في بداية الأزمة كان مفيدا، لكن مكر السياسة غير الأمور وكانت فكرة الإدارة الذاتية مفيدة للفواعل الكردية، من حيث أنها عززت الأنا القومية، أبرزت الكرد بوصفهم بديلا يمكن التعويل عليه في مواجهة داعش، وأبرزتهم بوصفهم بديلا عن النظام السياسي والدولة في سورية.

وفي هذه النقطة الأخيرة، يؤكد الدكتور محفوض إلى أن ثمة أصلا في الحدث السوري وهو أولوية الدولة السورية وأي بحث عن تأثير خارج إرادة الدولة سيؤدي إلى نتيجة معكوسة.

لا بد من العمل على إيجاد أجندة وطنية وتحرير الأكراد من الارتهان بالأمريكي والمراهنة عليه. وهنا يطرح الباحث العديد من النقاط في غاية من الأهمية. فإذا كان لدى الكرد أولويات تتعلق بالضمانات السياسية والأمنية وحقوقهم الثقافية واللغوية وطبيعة النظام والدستور، فإن الأجندة الوطنية يجب أن تركز على الوحدة الجغرافية والكيانية لسورية، فك ارتهان الكردي بالأمريكي وذلك عن طريق تحرير الفواعل الكردية من مرض الدولة، فالدولة الأمة ليست منتهى الأمور بل الدولة التعددية الديمقراطية هي الأفضل، واتباع

سياسات تجذب الكرد تعتمد على التنمية المتوازنة، واتباع سياسات تأخذ بالحسبان إعادة تأكيد معنى الدولة وتعزيز البعد الوطني.

يخلص المؤلف إلى القول بأن المجال الكردي يشكل حيز تغلغل واختراق إقليمي ودولي. في كتاب له صدر قبل سنوات بعنوان: الكرد والسياسة: تحليل البنى اللغوية وسياسات الهوية، يرى أن الأنظمة في المجال الكردي تعاملت مع الكرد بأحد المنطقين، إما اعتبارهم هوية فرعية يجب دمجها أو بمنطق عدم الاعتراف بوجودها، والمنطقان مغلوطان برأيه، وهو في هذا الكتاب يطرح فكرة "احتواء التحديات بخصوص الكرد" أي اتباع سياسات عميقة وبعيدة المدى وتسويات تاريخية تحفظ للكرد حقوقهم وتستجيب لهواجسهم وتطلعاتهم، في أفق دول ومجتمعات تعددية وآمنة ومستقرة وتعاون إقليمي واسع النطاق.

بالعودة لعنوان الكتاب: هل استراتيجيات القنفذ تدخل في حسابات موازين الصراع وتعتبر ورقة رابحة في يد من لا يملك سوى تدبير سبل المواجهة وسياسات النفس الطويل والبراغماتية في السياسة؟

أختم باقتباس فريد من هذا الكتاب يشفي التعب في قلوب السوريين:

"على الرغم من الفروق الكبيرة في الإمكانات المادية والتكنولوجية وغيرها، فإن الصراع في المنطقة محكوم – في جوانب مهمة منه- بعوامل أخرى لا تقل أهمية، وتتمثل بنظام القيم والمدارك حول الحق والهوية والثقة بالمستقبل، على المدى البعيد، والأمل الغامض والملغز بتغيير موازين واتجاهات المعنى والقوة في الإقليم والعالم، وإن إصرار الشعوب على فكرة الحق بالوجود والتحرر والمكانة والدور- يمثل عاملا متكافئا لتفوق الخصم.